

عنوان الدرس : الخيال

تحضير : الأب جرجس نهرا

العام الدراسي : 2020 – 2021

تصميم الدرس

مقدمة

اشكالية

شرح التجريبية ونقدها

شرح رأي سارتر ونقده

توليفة

مقدمة درس الخيال:

الخيال وظيفة نفسية معرفية تهدف الى استحضار صور وتركيبها تركيبا حرًا بصور جديدة ليس لها مثال في الواقع. صور تظهر قدرة الانسان على الخروج عن المألوف عبر تخطي مفهوم الزمان والمكان كما يرى لالاند. كما يمكن أن تجسّد هذه الصور المتخيّلة الصراعات المكبوتة القابعة في عمق اللاوعي بحيث تصبح الصور المتخيّلة هربا من الواقع وانعكاسات لرغبات وهموم وميول تجعل من الفعل الابداعي بكل المجالات المعرفية وبخاصة الفنية , تحقيقا لهذه الرغبات كما يرى برادين ووهي أيضا ملكة تجسّد في الواقع المحسوس ما هو ذهني كما يرى جوبير. فالخيال هو هذه القدرة الانسانية التي تتميز بالغرابة والتي تعبّر من جهة عن شخصية الفرد حاجته وثقافته وعن المجتمع لجهة حاجته ودرجة تطوّره. على هذا يمكن للخيال أن يكون أمّا مستعادا أو خلّاقا أو واهما . تنوّعت اراء الفلاسفة والمفكرين حول مصدر مصدر الصور المتخيلة وطبيعتها ودرجة مصداقيتها .

الأشكالية :

ما هي طبيعة الصورة المتخيّلة؟

هل يقتصر عمل الخيال على مدركات حسية سابقة ؟ أم أنه حالة وعي؟

شرح التجريبية :

أو **نظرية الأثر الباقي بعد غياب المحسوس** . النظرية التجريبية فسّرت الخيال انطلاقا من درجة قوّة انطباع الصور الذهنية في المراكز العصبية الدماغية الخاصة بالمستقبلات الحسية القادمة منها .من رواد المدرسة التجريبية جون لوك , ديفيد هيوم , والفرنسي كوندياك بحيث اعتبروا أن الانسان يولد وعقله لوح أبيض أي لا وجود لأية طاقة نفسية بالتالي يجوز اعتبار أن لا شيء في الذهن ما لم يكن قد مرّ مسبقا بالحواس ... بحيث اعتبروا أن الخيال ينتج عن بقايا الصور الذهنية التي تخزن في الجهاز العصبي أي هي نتيجة ادراك حسيّ سابق بعد انتهاء الادراك يبقى من المحسوسات أثر باهت وضعيف ستحفظ في الذهن كما الصور الفوتوغرافية في الألبوم وكل ما ينتجه الخيال ينشأ عن هذه الصور الذهنية. هذا يعني أن الصور المتخيلة هي صور مشوّهة وضعيفة عن الأصل الذي هو ادراك حسيّ بعد غيابه. مثلا نحن نحتاج احيانا الى برهان لكي نميّز بين انطباع ناجم عن ادراك حسي أو عن صورة عقلية اذ أنني عندما أكون في غرفتي وأسمع خربشة في الخارج أحتاج الى فتح النافذة لكي أتأكد هل ما أسمع هو صوت مطر أي ادراك أم الصوت الذي أسمع هو وهم وخيال. لذا بالرغم من أن الادراك والخيال هما من نفس الطبيعة أي صور عقلية. يبقى الفرق بين الصور المتخيلة و الادراكات الحسية في درجة قوة انطباع المدركات الحسية في الدماغ .

إذا الخيال هو هذه الطاقة النفسية المعرفية التي تستعيد الصور الذهنية المخزنة في المراكز العصبية الدماغية بحيث يكون خيالا مستعادا قريبا من الذاكرة الحسية ويقوم على استعادة الصور المدركة سابقا ويدعى خيالا بسيطا . كما يمكن أن يكون خيالا خلّاقا ابداعيا ذلك أن لا ابداع من عدم فالابداع هو تقريب العناصر القديمة من بعضها البعض بطريقة جديدة اذ يقوم على دمج الصور المحفوظة في الدماغ تركيبا حرّا ويدعى خيالا مركّبا يتجسّد بأعمال فنية أدبية واختراعات علمية . كما يمكن تحديد نوع ثالث من الصور المتخيلة وهي الخيال الواهم والذي هو القدرة على نسج الأحلام والأوهام بعيدا عن أي ارتباط بالواقع ,مثلا الخيال المرضي عند الذهانين واللعب الطفولي والصديق الوهمي عند الأطفال و الاحيائية و الأحلام الليلية.

إذا بحسب التجريبيين الصور المتخيلة هي نتاج ادراكات حسية سابقة لها ومخزنة في ذاكرتنا. هكذا تبقى فعالية الخيال ودرجة ومجال عمله وغناه مرتكزة على كمية الصور المحفوظة في الذهن التي تسمح للخيال بتركيب أعمق للصور وزيادة كمية الابتكارات .

فكرة انتقالية :

بالرغم من القيمة المعرفية والعلمية التي قدمتها الفلسفة التجريبية إلا أن انتقادات كثيرة يمكن توجيهها إليها منها

نقد داخلي : للتجريبية

لقد أخطأت التجريبية عندما اعتبرت أن الإدراك والتخيّل هما من نفس الطبيعة وأن الفرق يكمن في درجة قوة انطباع كل منها فقط . الحقيقة أن الاختلاف بين الإدراك والتخيّل هو اختلاف في الطبيعة ذلك أن وعينا يميّز بطريقة عفوية ما بينهما إذ يتضح تماما هذا الفرق عندما أقول أنا أدرك عن وعي عندما أقول أنا أتخيّل . من جهة أخرى كيف يمكن تفسير قدرة بعض الأطفال على التخيّل بشكل يفوق قدرة البالغين بالرغم من أن خبرتهم الحسية محدودة . ولو كان الخيال مرهونا بالمدرجات الحسيّة فقط ف كيف يمكن تفسير الابداعات العلمية التي ليس لها أي ارتباط مع أية معطيات حسيّة ؟ وإذا كان الخيال مرهونا بادراكات سابقة فكيف يمكننا إذا تمييزه عن الذاكرة والتي هي أيضا استرجاع ل ادراكات سابقة .

شرح رأي سارتر :

أونظريّة الصورة الشيء والصورة الفعل بعد اعدام الشبيه . في تعريفه لطبيعة الصورة المتخيّلة سيتأثر الفيلسوف الوجودي الفرنسي جان بول سارتر ب آراء التعقلي الآن Alain و الفينومينولوجي هوسرل Husserl.

يعتبر الآن أن الصور تنطبع في جسم الانسان من غير أن يكون لها وجود في عقله والتخيّل هو عملية ترسم الشيء (أي تصوّره) أي تستعيده في حركات الجسد مع ما يرافقها من شعور بحيث تصبح الصورة الذهنية في خدمة الفكر وليست سيّده . برأيه هذا ينطلق الآن من مفهوم التعقّلين الذين لا يقيمون أية قيمة معرفيّة لفعل التخيّل معتبرين أن الخيال هو مصدر الوهم وسيّد الضلال بحسب رأي ديكارت و باسكال وأن المخيّلّة تبعدنا عن الواقع وهي بحسب مالبرانش "مجنونة الدار" . لذا يرى الآن أن الخيال لا يستحضر الصور وبالتالي لا وجود لصور مخزّنة في الذهن كما هي حال الصور المخزّنة في الألبوم . فإذا طلبنا من أحد أن يتمثّل أعمدة بعلبك محاولا أن يعدّها فلن يتمكّن . وإذا ما طلبنا من أحد أن يرشدنا الى عنوان فانه يستعمل جسده ويديه متمثلا نفسه متجها الى العنوان وكان صورة الشيء تسري في حركات جسده وأطرافه .

أمّا هوسرل فقد اعتبر أن لا وجود لصورة ذهنية داخلية في الفكر أي أن الوعي ليس حاويا للصور وأن كل وعي هو أي ليس هناك صور خيالية بل وعي يقوم بفعل التخيّل فإذا كان الشيء حاضر أمامي يكون وعي حالة ادراك ل هذا الشيء أما في حالة غياب الشيء عن ناظري فان وعي يتجه بشكل آخر لادراكه وهذا هو التخيّل . ذلك أن الوعي هو حالة قصدية هادفة موضوع ما خارجي فليس هناك حالة وعي بل وعي حالة ما .

من هذه المعطيات ومن مبدأ " الوعي هو الكائن في موقف ما " وضع سارتر رأيه في طبيعة الصورة التخيلية بحيث جمع بين نظريتي هوسرل والآن . إذ أن التخيل هو توجه الوعي نحو موضوع غائب مع ما يرافقه من عمل مادي أي من شبيه التخيل الذي يعبره الوعي نحو ما يحويه من معان . أي أن التخيل لن يحصل إلا إذا توقفنا عن ادراك الصورة كجسم مادي أي ألا بعد اعدام الشيء (الشبيه) أي إذا اخترق وعينا الصورة المادية بما فيها من خطوط وألوان ليصل الى الرموز التخيلية . بهذا يميّز سارتر بين فعل التفكير وفعل الادراك الحسي وفعل التخيل .

في فعل التفكير لا يحتاج الفرد الى اشياء مماثلة مادية ينطلق منها وفي فعل الادراك يكون الشيء المدرك هو الجوهر وتكون الذات (الوعي) ثانوية أما في فعل التخيل تكون الذات (الوعي) هي الأساس والجوهر والصورة التخيلية هي التابع . إذا في الخيال الوعي هو الذي يخلق الصور التخيلية بشروطه . أما التذكر فهو ليس سوى الشيء المدرك من الواقع لكنه يكون مبنياً على شيء وجد في الماضي .

باختصار التخيل هو قدرة الوعي على تجاوز الواقع والحاضر والها والآن الى معناه الغائب كما تغيب مادة اللوحة الفنية أمام المعاني المنبثقة عنها . فالانسان بالنسبة ل سارتر هو كائن حرّ وأن الخيال هو الوعي بكيّته من حيث يصبح الفرد قادراً على تحقيق حرّيته وتخطّي جميع المعوقات والحوازر . هكذا يتحرّر الانسان من الواقع بواسطة خياله ويعيد ترتيبه وبناءه كما يريد فيحقق حرّيته ووجوده .

فكرة انتقالية :

بالرغم من نجاح الفلسفة الحديثة الوجودية مع سارتر في تفسير قدرة الانسان على التمييز بين الواقع والخيال . لكن نظريته هذه أظهرت عجزاً عن تقديم اجابات على تساؤلات عديدة منها

نقد داخلي : سارتر

كيف يمكن تفسير حالات الهلوسة والاحلام الليلية حيث لا يمكن للوعي أن ينفي أو يعبر إلا إذا اعتبرنا أنها قصيدة اللاوعي المكبوت . وهو ما لن يقبله سارتر المتأثر بالوعي الديكارتي والذي لم يفهم وجود اللاوعي النفسي . ثانياً نظرية سارتر فسّرت فقط الخيال المستعاد ولم تعالج كيفية تشكّل الخيال الخلاق المبدع إذ لا يمكن اعتبار الخيال الابداعي نتاج التفكير في موضوع ما على أنه غائب بل هو استحضار موضوع غائب وغير معروف الى الواقع وذلك من خلال عمل فني أو ادبي أو علمي . ثالثاً من الصعب ربط الخيال بحركات الجسد ثم تخطّيها إذ كيف يمكن فهم تطوّر العلوم النظرية البعيدة كل البعد عن المعطيات الحسية

فقط إذ من نظرية لا مادية نستنتج نظريات أخرى . كلّ هذا يظهر أن سارتر بالغ عندما ربط التخيل بالحرّ من المحيط الخارجي . فالتخيل ليس هروباً من الواقع بل هو نتاج له إذ أنه مرتبط بالادراك وبالحياة الانفعالية والثقافية للفرد والمجتمع الذي ينتمي اليه .

توليفة :

بعءما تمّ استعراض النظريّات التي حاولت تعريف الخيال وتحديد مصدره وطبيعة الصور المتخيّلة وحدود المخيّلة ودوافع الخيال إلا أن العناصر المكوّنة والمصادر المنتجة للصور المتخيّلة تظهر أثر المجتمع والفرد بكلّ الأبعاد الموضوعية والذاتية هذا يظهر بقوة في الانجازات الفنيّة والابتكارات العلمية عبر تاريخ تطوّر الحضارات وانجازاتها التراكمية . وها هو أيضا علم النفس الحديث يظهر البعد الفردي للابداع من جهة وعلم الاجتماع من جهة أخرى يربط الخيال بالبعد الاجتماعي . لذا يبقى حكم وليم بلايك هو الأوضح اذ قال "الخيال هو الوجود الانساني بكيّته"